المحاضرة الأولى **مادة التفسير للمرحلة الثانية مسائي**

م . د منى عادل محمود

قسم علوم القرآن

التفسير والتأويل والفرق بينهما

تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير في اللغة :مصدر فسر بتشديد السين مأخوذ من الفسر بمعنى البيان ، تقول فسر الشيء يفسره بالكسر ، ويفسره بالضم فسرا وفسره أبانه ، والتفسير مثله ، والفسر كشف الغطاء والتفسير كشف المراد من اللفظ.

فالتفسير هو التبيين مطلقا ومن هنا ندرك ان التفسير في الاصل ليس خاصا بالقرآن الكريم ، ويؤيد ذلك القرآن نفسه فقد جاء فيه التفسير بمعنى مطلق البيان ، قال تعالى { ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا } أي: احسن بيانا وتفصيلا.

لكن لفظ التفسير شاع واشتهر بين الناس بحيث اذا اطلق يكون المراد منه بيان المعنى الذي يقصده القرآن سواء كان حقيقة ام مجاز . الا ان بعض العلماء يرى ان لفظ التفسير خاص بما ابان عن الحقيقة دون المجاز . فهذا ضياء الدين الموصلي يقول في كتابه المثل السائر : ((لقد ذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل الى شيء غير مرض فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق ، والتأويل اظهار باطن اللفظ كقوله تعالى {ان ربك لبالمرصاد} فتفسيره من الرصد يقال: رصدته اذا رقبته والمرصاد مفعال وتأويله : تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة اوامره)).

ولكننا لو رجعنا الى مادة التفسير في اللغة لوجدناها تدل على الكشف والبيان وهذا لا يختص ببيان حقيقة اللفظ دون مجازه بل يشملهما معا ، وهذا هو الراجح.

التفسير في الاصطلاح : عرفه الزركشي : ((بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو وعلم البيان واصول الفقه والقراءات)).

تعريف التأويل لغة واصطلاحا:

التأويل في اللغة : مأخوذ من الأول وهو الرجوع ، تقول آل الشيء يؤول أولا ومالا والتأويل تفعيل من أول يؤول تأويلا ، ومعنى أول الكلام ، وتأوله دبره وأوله وتأوله فسره.

اما التأويل في الاصطلاح : هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب دليل اقتضى ان يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره.

وقسم الراغب الاصفهاني التأويل الى قسمين:

١ - تأويل منقاد : هو الذي لا يجافي منطق اللغة ، ولا ينأى عن دلالتها.

٢ - تأويل مستكره : هو الذي يلوي فيه المفسر أو المؤول النص حتى يوافق هواه ويسير مع رغباته ويدعم مذاهبه واتجاهاته.

الفرق بين التفسير والتأويل:

ان التأويل عند معظم العلماء هو تفسير الآية بمعنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهرها بموجب دليل يقتضي صرف معنى ظاهر اللفظ الى معنى آخر ، والا كان التأويل فاسدا ، من اجل هذا فرق بعض العلماء بين التفسير والتأويل.

الفروق هي:

١ ـ التفسير أعم من التأويل.

٢ ـ اكثر استعمال التفسير في الالفاظ والمفردات ، واكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل

٣ ـ التفسير يستعمل في الكتب الالهية وغيرها ، اما التأويل يستعمل في الكتب الالهية فقط.

بناءاً على هذا فأن كل تأويل تفسير ، وليس كل تفسير تأويلا ، ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر وباطن .

٤ ـ التفسير خاص ببيان اللفظ الذي لا يحتمل الا وجها واحدا بدليل مقطوع به ، والباطن ارجاع اللفظ المحتمل لمعان مختلفة الى معنى واحد يختاره منها من غير دليل مقطوع به.

ويبدو ان الذي حمل القائلين بالفرق بين التأويل والتفسير على الذهاب الى هذا المذهب هو ورود كلمة التأويل في قوله تعالى { هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات من أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب } [سورة آل عمران : آية ٧].

فقد ذكر الله في هذه الآية ان من القرآن ما هو محكم كالآيات التي ارست امور العقيدة فهي مفهومة المعنى قاطعة الدلالة لا لبس في دلالة الفاظها عليها ولا شبهة ، وان الفاظها تصرف الى احد المعاني التي يحتملها بدليل قطعي كتفسير قوله تعالى : {والله بكل شيء عليم} .

فهذه الآية المحكمة وامثالها واضحة جلية فينبغي في تفسيرها ان يكون المعنى الذي يقال فيها مأخوذا بطريق قطعي فلا تحتمل التأويل ولا تقبل النسخ .

ومن القرآن ما هو متشابه والآيات المتشابهات اما الا يكون في مستوى الادراك الانساني واما ان تكون في مستوى الادراك الانساني فأما التي لا تكون في مستوى الادراك الانساني فهي كالسمعيات والغيبيات التي اختص الله بعلمها فقد جاءت للوقوف عند مدلولاتها القريبة ويجب

التصديق بها لأنها صادرة عنه سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله تعالى:

{الرحمن على العرش استوى }.

{ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام }.

الى غير ذلك من الآيات التي يصعب على الانسان ادراك ماهيتها .

فرق الأصوليون وبعض علماء التفسير بين التفسير والتأويل وأحاطوا التأويل المقبول لآيات الله بشروط تخرج صاحبه من تبعة هذا الزيغ والانحراف وأهم هذه الشروط ما يأتي:

١ - ان يكون التأويل موافقا لوضع اللغة وعرف الاستعمال وكل تأويل يخرج عن هذا فليس بصحيح.

٢ - ان يقوم الدليل على ان المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه اذا كان لا يستعمل كثيرا فيه.

٣ - اذا كان التأويل بالقياس فلا بد ان يكون جليا ، لا خفيا وقيل لا يجوز التأويل بالقياس اصلا.

٤ - الا يكون المعنى المستنبط من الآية مخالفا للكتاب والسنة .

المحاضرة الثالثة **مادة التفسير للمرحلة الثانية مسائي**

م . د منى عادل محمود

قسم علوم القرآن

اقسام التفسير (التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي)

اولا (التفسير بالمأثور):

ويسمى التفسير بالرواية ، والتفسير النقلي وهو كل ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قرآن او سنة او عن الصحابة سواء أكانوا من اهل البيت ام من غيرهم او عمن عاصرهم من التابعين.

من خلال التعريف نجد التفسير بالمأثور يدور على أربعة أنواع:

١. تفسير قرآن بقرآن
٢. تفسير قرآن بالسنة النبوية
٣. تفسير قرآن بأقوال الصحابة
٤. تفسير قرآن بأقوال التابعين

الأمثلة لكل منها:

١. تفسير قرآن بقرآن:

قوله تعالى : { ان الانسان خلق هلوعا } فقد فسر بما بعده : { اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا }.

٢. تفسير قرآن بالسنة النبوية:

قوله تعالى : { وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو } فسر بقوله (صلى الله عليه وسلم) : ((مفاتيح الغيب خمس : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام ، وماتدري نفس ماذا تكسب غدا ، وماتدري نفس بأي ارض تموت، ان الله عليم خبير))

٣. تفسير قرآن بأقوال الصحابة:

قوله تعالى : { أيود احدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون } ، قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله (عز وجل) فقال : (أيود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى ان يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من أعمال اهل الشقاء فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان اليه)

٤. تفسير قرآن بأقوال التابعين:

ما رواه الرضا عن ابيه عبد الله (عليهم السلام) في تفسير قوله تعالى : { والمستغفرين بالأسحار} أي : المصلين وقت السحر.

نماذج من التفاسير بالمأثور:

من أصح التفاسير بالمأثور التي تجمع بين اقوال الرسول واصحابه من اهل البيت وغيرهم:

١. جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.
٢. تفسير بحر العلوم للسمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ.
٣. التبيان في تفسير القرآن للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.
٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.
٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ.

المآخذ الموجهة الى التفسير بالمأثور:

ان التفسير الاثري المنسوب الى النبي (صلى الله عليه وسلم) والى اصحابه من اهل البيت وغيرهم كعلي (عليه السلام) ، وابن عباس وابن مسعود (رضي الله عنهم) ، والمنسوب الى بعض التابعين كمجاهد وقتادة والامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وسعيد بن جبير والحسن البصري كان مرويا بالإسناد ، والطابع الغالب على هذا التفسير الصحة ! لأنه اما تفسير قرآن بقرآن، او قرآن بسنة ثبتت صحتها عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سندا ومتنا ، أو تفسير قرآن بأقوال الصحابة وتابعيهم ، لان الصحابي كان اذا لم يجد تفسيرا بالقرآن الكريم، أو السنة المطهرة اجتهد برأيه مستعينا على ذلك :

١- بقوة فهمه للغة العربية .
٢- معرفته لعادات العرب واخلاقهم.

٣- وفقهه لأسباب النزول والمامه بما احاط بالقرآن من ظروف ومناسبات.

من المآخذ الموجهة الى التفسير بالمأثور:

١ - تأثره بالبيئة التي احاطت بالمسلمين ، خاصة بعد اسلام الكثير من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه ، وكان هؤلاء اذا سئلوا عن الانبياء والامم الغابرة التي ذكرها القرآن بإيجاز لغرض العظة والعبرة ، أفاضوا في شرحها والنفس تميل دائما الى الاستيعاب والاستقصاء من كل ناحية مستندين في ذلك الى قوله (صلى الله عليه وسلم) :
((بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)).

٢ - لما انقضى عصر الصحابة واقبل عهد التابعين تساهل بعضهم كقتادة ومسروق ومجاهد في الأخذ عن اهل الكتاب فازداد دخول الاسرائيليات في تفاسيرهم فكان فيها الصحيح والحسن والضعيف ، وقد علل ابن خلدون قبول هذه النقول عن بني اسرائيل واوعزها الى اعتبارات اجتماعية ودينية فقال : (والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء فإنما يسألون عنه اهل الكتاب ، ثم يذكر من الاعتبارات الدينية ان مثل هذه المنقولات مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون منها).

وهذه الاسرائيليات كانت تدور حول كثير من القصص في القرآن ، ولها ذكر في الكتب التي كانت متداولة في ايدي اهل الكتاب ولكنها لم تكن مكتوبه بالعربية فاذا سألهم المسلمون عنها للاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم قرأها اليهود بالعبرانية وفسروها للسائلين بالعربية ، ولم يكن لدى المسلمين حينذاك الوسيلة للتأكد من صدقهم في الترجمة أو تحريفهم لها وهذا مما لا يمنع اليهود من الاسترسال في الشرح .

كان للإسرائيليات أكبر الأثر في ضعف التفسير بالمأثور وبعد عصر التابعين وتابعيهم ، انقسم المسلمون الى احزاب ، وظهرت الفرق المذهبية وبرزت الخلافات السياسية ولعبت دورا خطيرا في تشويه الاسلام وتفرقة المسلمين حتى ان بعضهم سولت لهم انفسهم أن يضعوا ما يشاؤون من أحاديث واقاويل تؤيد مذاهبهم ففسروا آيات من القرآن الكريم بخرافات واباطيل ما انزل الله بها من سلطان ، كما فسروا بعض الالفاظ القرآنية بغير مدلولاتها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد استغل هذا الانقسام اعداء الله الزنادقة من اليهود والروم الذين هدم الاسلام مصالحهم لباطلهم ، فراحوا يتسترون بالإسلام ويضمرون له الشر والكيد والعداوة فبعد أن

عجزوا عن مواجهه الاسلام بالسنان وبذلك توصلوا الى بعض اغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع والاختلاق والدس.

نخلص مما مضى الى ان اهم اسباب الضعف التي طرأت على التفسير بالمأثور هي:

١ ـ الاسرائيليات وهي كل ما تسرب الى التفسير والحديث من اساطير قديمة منسوبه في اصل روايتها الى مصدر يهودي او نصراني.

٢ – ما دسه الزنادقة الذين يتسترون بلباس الاسلام من الروم واليهود.

٣ ـ ما وضعه ضعفاء الايمان من الفرق الاسلامية تأييدا لمبادئهم.

المحاضرة الثانية **مادة التفسير للمرحلة الثانية مسائي**

م . د منى عادل محمود

قسم علوم القرآن

أهمية علم التفسير:

ان اهمية كل علم ترتبط بأهمية موضوعه ، فأهمية التفسير نابعة من القرآن الكريم الذي هو من أشرف الموضوعات ، واقدسها لأنه كتاب الله الخالد الذي {احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الضياء الذي ينير للإنسانية طريق الحياة الفاضلة ، ويرسم لها المنهج السوي في حل ما يعترضها من مشكلات بفضل ما جاء فيه من مبادئ حكيمة وقوانين عادلة ونظم سديدة قال تعالى { ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون } ولقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وصفه كما روى عن علي (عليه السلام) : ((عليكم بكتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل)).

فالعمل بهذا القرآن لا يكون الا بعد فهم الفاظه وشرح آياته والوقوف على ما حواه من عقائد واحكام وعظات والالمام بمبادئه واهدافه وهذه الأمور لا يهتدي اليها . ولا يتحقق العلم بها الا بعلم التفسير ، ولهذا كانت الفاظ القرآن وآياته وحكمه موضع اهتمام المسلمين منذ الصدر الأول فالصحابة مع علو كعبهم في الفصاحة والبلاغة كانوا يسألون الرسول عما يصعب عليهم فهمه من آياته واحكامه.

وقد ازدادت الحاجة الى التفسير عصرا بعد عصر نظرا لضعف الملكة العربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم وشيوع اللحن الذي افسد الفصاحة والبلاغة بين صفوف المثقفين . فالتفسير له اهمية عظيمة ومكانة كريمة بين سائر العلوم لأنه المفتاح لعلوم القرآن وكنوزه الرائعة من اجل ذلك نجد معظم المفسرين يتحدثون عن أهميته.

١ - قال الراغب الأصفهاني : ((اشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن وتأويله)).

٢ - قال السيوطي : ((فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث اما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، واما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية

التي لا تفنى ، واما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني او دنيوي عاجل او أجل مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى)).

٣ - ابن كثير ذكر في مقدمة تفسيره : ((فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير

ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه)).

٤ - بل ذهب الزمخشري الى ابعد من هذا فجعل الخوض في تفسير القرآن فرض عين ، معتمدا على ما في القرآن والسنة من نصوص تدل على الدعوة الى العناية بتفسير القرآن وكشف معانيه، قال تعالى { أفلا يتدبرون القرآن } ومما جاء في السنة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

٥ - اجمع العلماء على اهمية علم التفسير وما أجمل قول الرسول في التحريض على قراءة القرآن وتفهم معانيه ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده)).

أداب التفسير:

أولا / الآداب الموضوعية

القرآن الكريم كلام الله الخالد وتفسيره من اهم ما يجب الاعتناء به ، والتعرف على آدابه وشروطه من الفروض التي يجب على كل مفسر الاهتمام بها ، ومن أهم الآداب الموضوعية:

١ - ان يؤمن بكل جوارحه انه امام اقدس كتاب عرفه الوجود وان الله سبحانه وتعالى قد انزله لهدف سام هو هداية الناس الى سبيل الحق.

٢ - ينبغي ان يشعر المفسران على عاتقه امانه كبرى لا يحملها الا المؤمنون بهذا الدين المخلصون لدستوره القويم الذي غرس الايمان في قلوب المسلمين.

٣ - يجب ان لا يغمض المفسر الموضوعي عينيه عن احوال المسلمين وما ألوا اليه من تفكك وانقسام.

٤ - المفسر الموضوعي لا يؤتي ثمار تفسيره يانعة طيبة الا ببذل الجهد واعمال الفكر للبلوغ الى العمق الموضوعي.

٥ - يجب على المفسر التخلي عن مؤثرات البيئة وان يتصف بالنزاهة عن الهوى والانحراف ويتجرد من التعصب لمذهب أو طائفة.

٦ - ان الموضوعية في تفسير القرآن شرط اساسي في كشف معاني القرآن على حقيقته النازلة ، لأن القرآن بحاجة الى من يفسره على حقيقته النازلة من رب العالمين والسير في تفسيره على هدى وتدبر لمحو ما التصق به من خرافات وأساطير وبدع، واقصاء كل تأويل مضلل أدى الى وضع الحواجز التي شعبت المسلمين وفرقتهم الى فرق وطوائف .

ثانيا / الآداب النفسية

المقصود بالآداب النفسية هو الكمال الانساني الذي ينبغي أن يتصف به كل مفسر من صحة الاعتقاد بالله ، واخلاص القلب له ، ونقاء السريرة ، وتحري الصدق.

ومن أهم الآداب النفسية:

١ ـ صحة الاعتقاد : لا يخفى علينا ان للعقيدة أكبر الأثر في نفس صاحبها فاذا لم تكن سليمة تحمل صاحبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الاخبار ، يجب أن تتوافر في المفسر صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين ولزوم طريق الهدى.

٢ ـ اخلاص القلب له والتفويض اليه : فاذا كانت صحة الاعتقاد السليمة من كل شائبة ، جاءت النية صادقة والاخلاص الله مكملا للنفس ، وخاصة اذا اقترن بهما تفويض الامر الى الله والتوكل عليه لأن التوكل صفة من صفات المؤمنين الموقنين.

٣ ـ صحة المقصد وحسن النية في ما يكتب : فينبغي أن يتجنب البدع والمحدثات ويكون اعتماده الأول في التفسير على النقل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعن اصحابه من اهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم وممن عاصرهم ، فاذا تعارضت اقوال المنقول عنهم وامكن للمفسر أن يجمع بينها فعل ذلك . وان لا يكون قصده من وراء التفسير هوى من أهوائه أو غرضا من اغراض دنياه.

٤ ـ التدبر والتفكر : أن تفسير القرآن بحاجة الى تدبر عميق وتفكير دقيق وفهم سديد لإدراك ما في القرآن من اسرار . والوصول الى ما احتواه من حكم تكمن وراء كل تشريع .

المحاضرة الخامسة **مادة التفسير للمرحلة الثانية مسائي**

م . د منى عادل محمود

قسم علوم القرآن

اختلاف العلماء في جواز التفسير بالرأي:

لقد بدأ الخلاف بين العلماء في جواز التفسير بالرأي منذ عصر الصحابة وانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول : ذهب الى انه لا يجوز لأحد ان يجرأ على تفسير شيء من القرآن مالم يرد فيه قول للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، أو للصحابة ، وان كان عالما متبحرا في معرفة الأدلة الفقهية.

الفريق الثاني : فقد ذهب الى جواز التفسير بالرأي الصحيح والاجتهاد السديد ، ولكل فريق ادلة فيما ذهب اليه نجملها على الوجه الآتي:

اولا / ادلة المانعين:

لقد احتج المانعون بالكتاب والسنة واقوال الصحابة والتابعين.

اما الكتاب فقوله تعالى { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول } أي : ان التفسير موقوف على السماع.

اما السنة فقوله (صلى الله عليه وسلم) : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) .

واما اقوال الصحابة فمنها ما روى عن علي (عليه السلام) أنه قال : (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه).

ومن اقوال التابعين قول الشعبي : والله ما من آية الا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله تعالى .

ثانيا / أدلة المجوزين:

أما المجوزون فقد استدلوا بما يأتي:

الكتاب قوله تعالى :{ كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب } فتدبر الآيات لازم ليعرف ما فيها من أحكام ومواعظ ، ولا يمكن تدبرها الا يفهم معناها.

اما السنة فقد روي ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعا لعبد الله بن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وتأويل القرآن ليس الا فهمه الذي يمنحه الله أياه.

وأما اقوال الصحابة فقد روي ان عليا (عليه السلام): سئل هل خصكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشيء سوى القرآن فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه.

كيف رد المجوزون على المانعين (الردود):

وقد رد المجوزين بالإضافة الى الأدلة التي ذكرناها على أدلة المانعين بما يأتي:

الرد على الدليل الأول:

ان الدليل غير صحيح ، لان النهي عن تفسير القرآن لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به أمر آخر، وليس بصحيح أن يكون المراد به الا يتكلم أحد في تفسير القرآن الا بما سمعه ، لأن الصحابة انفسهم قد فسروا بعض آيات القرآن واختلفوا في تفسيرها وليس كل ما قالوه قد سمعوه.

ويمكن أن يحمل النهي على وجهين:

الوجه الأول : ان يكون المفسر له ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق هواه محتجا بذلك على تصحيح غرضه

الوجه الثاني : ان يسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والحذف والاضمار والتقديم والتأخير.

الرد على الدليل الثاني:

ان الحديث في صحته وثبوته فيه نظر لأن احد رواته وهو سهيل بن ابي حزم القطعي ، قد تكلم فيه فقد قال الترمذي عنه : غريب.

وعلى فرض صحة الحديث فقد اجاب عنه العلماء بما يأتي:

الوجه الأول : يحمل الحديث على من يريد ان يفسر القرآن بمجرد رأيه وهواه ، ولم يأخذه عن السلف ، ومن غير ان يعرف من العلوم اللغوية والشرعية ما يؤهله لهذا فمثل هذا وان اصاب فقد أخطأ.

الوجه الثاني : يحمل الحديث على كل من يفسر المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى .

الرد على الدليل الثالث:

ان الذين احجموا عن القول في القرآن وتفسيره من السلف انما كان احجامهم عنه حذرا الا يبلغ أداء ما كلفوا به من أصابة صواب القول فيه ، لا على ان تفسير ذلك محجوب عن علماء الأمة ،وقد وضح ذلك ابو بكر الانباري قائلا : (وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن فبعض يقدر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل فيحجم عن القول ، وبعض يشفق من أن يجعل في التفسير اماما يتبنى على مذهبه ، ويقتفى طريقه فلعل متأخرا ان يفسر حرفا برأيه ويخطئ فيه ويقول : امامي في تفسير القرآن بالرأي فلان الأمام من السلف).

نخلص مما مضى الى ان التفسير بالرأي السديد المعتمد على الدراية باللغة وأساليبها وما يتصل بذلك من العلم بالأصول والفقه واسباب النزول وغيرها هو الراجح ، اذ لو لم نفسر القرآن بالرأي الصحيح ، والاجتهاد الصائب لأعرضنا عما تعبدنا الله به من النظر في آيات القرآن ، واستنباط احكامه ، ولضاع معنى التدبر والتعقل الذي حثنا الله عليه في آيات كثيره.

معنى هذا أن خير منهج لتفسير القرآن هو المنهج الذي يجمع بين هذين النوعين من التفسير ، أي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي السديد ، وقد ازدهر هذا اللون من التفسير نتيجة لازدهار العلوم الاسلامية.

ومن التفاسير بالرأي

١ ـ انوار التنزيل واسرار التنزيل للبيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ.

٢ ـ مدارك التنزيل وأسرار التأويل للنسفي المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

٣ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ.

٤ ـ البحر المحيط لأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ.

٥ ـ غرائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

المحاضرة الرابعة **مادة التفسير للمرحلة الثانية مسائي**

م . د منى عادل محمود

قسم علوم القرآن

موقف المفسرين من الاسرائيليات :

لما جاء القرن الثالث وقف المفسرون ازاء هذه الاسرائيليات والموضوعات فريقين:

الأول : اقتصر على الآثار ولم يتجاوزها الا قليلا وعلى رأس هؤلاء ابن جرير الطبري فهو ينتقي منها ما يراه انسب للقرآن ، واقرب الى اللغة العربية الصحيحة ، وما يتفق مع جملة المأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من احوال واعمال واقوال ، وما عرف من هذا الدين بالضرورة ولم يتقيد في الرواية بما قيد به المحدثون انفسهم من تحري السند تحريا دقيقا بل تساهل قليلا في ذلك مما سمح بدخول بعض الخلط الإسرائيلي .

الثاني : التزم طريقة السلف ، واجتهد في انتقاء الرواية وحاول دراسة الاسانيد وان لم يتقيد تقييدا مطلقا بنقد الرواية في الحديث وعلى رأسهم ابن كثير.

التفسير بالرأي :

بعد انقضاء عصر الرسالة ابتدأ بجانب التفسير بالمأثور ظهور نوع اخر من التفسير يقيم للرأي الصحيح وزنا ، وللعقل الصائب اعتبارا . وهو التفسير بالرأي والمسمى التفسير العقلي ، ولكن على نطاق ضيق جدا ، لان التفسير بالرأي في الصدر الأول كان موضع تحرج حتى في تفسير الالفاظ . وقد تجلى هذا النوع من التفسير واضحا في تفسير ابن عباس حينما كان يعتمد على الشعر العربي في التفسير اللغوي بأطلاقه العام ، وقد أثر عنه انه قال : اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب ، مثاله حين سأل نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس .

قال : أخبرني عن قوله تعالى: (شرعة ومنهاجا) ، قال : الشرعة الدين والمنهاج الطريق

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت أبا سفيان بن الحارث وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ وبين للإسلام دينا ومنهجا

وكذلك اتجه ابن عباس الى عادات العرب قبل الاسلام ،لأن منها ما يستعين به على التفسير فمن ذلك على سبيل المثال تفسيره لقوله تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها}

قال : الرجل اذا مات أبوه فهو احق بامرأته ان شاء امسكها او حبسها حتى تقتدى منه بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها.

ولما تقدم الزمن وحل القرن الثالث اتسع التفسير بالرأي، فكان على شكل محاولات شخصية اولا قام بها الطبري شيخ المفسرين في ترجيح بعض المنقولات على بعض، بالرجوع الى اللغة تارة والى ما عرف من عادات العرب تارة أخرى .

وقد استمر هذا النوع من التفسير بالرأي السديد وظل هو الغالب حتى عصرنا هذا يفضل ما بذله المفسرون من جهد واخلاص في خدمة القرآن الكريم.

ويبدو لي أن الذي دفع المفسرين الى التوسع في هذا النوع من التفسير أربعة دوافع هي:

١- أن التفسير بالمأثور لم يغط كل الآيات القرآنية اذ كان يهمل بعضها لعدم ورود النقل الصحيح فكان الناس بحاجة الى من يفسرها .

٢ - لما ضعفت السليقة العربية في العصور التي تلت القرن الثالث بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التي دخلت للإسلام أدى الى ضعف الاساليب العربية وغموض بعض تعابيرها . والقرآن

كما نعلم في أعلى درجات البلاغة يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فكان الناس بحاجة إلى بسط ما أوجز والكشف عما اجمل.

٣-ان الخلاف المذهبي بين الفرق الاسلامية التي ظهرت دفعهم الى تلوين التفسير باللون المذهبي فكانت كل فرقة تفسر بعض آيات القرآن بما يتفق مع عقائدها.

٤-ان تطور العلوم وتقدمها في عصرنا الحاضر يقتضي أن تفسر بعض الآيات العلمية والكونية والنفسية بحسب مستوى تطورنا العلمي.